

## تاريخ الكروب

وثورة اسم والخب

من يطالع على هذه المقالة لا يجد فيها حقائق جديدة ولا اكتشافات كانت مجهولة لان كل ما فيها معروف عند الاطباء والعلماء واكثر نشاطا وانما اوردت فيها حوادث تاريخية تخلد اسم المجتهدين الذين خدموا العلم والانسانية ليجد فيها القارئ لذة وفكاهة ويقف منها على كيفية ارتباط حقائق الاكتشافات بعضها ببعض حتى تكوّنت منها سلسلة علمية محكمة وقد حدا في الى هذا الموضوع ما ارى من البعد الشاسع بين الممارف في هذه الايام وما كانت عليه في النصف الثاني من القرن الماضي لاني اذا قابلت بين المؤلفات التي اطالعها اليوم والتي تخرّجت عليها منذ ثلاثين سنة رأيت من الفرق ما يعجز به الحكم بان الطب قد اتقلب في هذه المدة بطناً لظهور وبقضي على الطيب الذي يرغب في حفظ مكانته من العلم ان يصل ليلة بنهاره بالدرس والمطالعة ليتمكنه السير مع تيار العلم والأفانئ شوطاً بعيداً وصر عليه بعد ذلك الحاقه به فقد بطالط الطيب مؤلفاً حديثاً ويرى نفسه كأنه يلج على جديداً قد تغلق عليه بعض ابوابه ويحجز عن استيعاب كل حقائقه ولا سيما اذا لم يكن غلباً باللغة الاجنبية التي يأخذ عنها ويستفيد بممارف علمائها

فاكتيها قد تحولت في اجنبتها واكتشافاتها الى ما يختلف كثيراً عما كانت عليه في السابق تضررت اسماؤها وسمياتها الكبارية وتنوعت عباراتها واسرعت خطاها في المواد الآلية وسارت سراً حيثما في المواد المدنية كأن علماءها استوفوا فيها البحث والنظر - وقد تبعها المادة الطبية لان بين العلمين من الرابطة ما لا يقبل التماثل احدهما عن الآخر فاقس نطاق هذه ايضا وكثرت مرادها الى حد ينجح المستفيد والممارس عن استيفائها واستيعابها - الا ان الجانب الاكبر من هذه المواد لا يكاد يظهر الى الوجود ويطرح على مائدة البحث والتجربة حتى يسقط وبلقي في زوايا السبيلان فتزيد الثقة بالمعانيير القديمة التي تزيد ثبوتها ورسوخها في بيت العلم ودار الطب - واذا واجعتنا تاريخ المادة الطبية من ربع قرن الى الآن رأينا ان ماثرو بل الوقت من المعانيير الطبية لم تكد نظهر الى حيز الوجود حتى سقطت لسقوط الثقة بها ولم يثبت منها سوى النذر القليل كالاتيميرين واخراته ومع ذلك في اليوم اقل منها اعتباراً من ذي قبل - ثم ظهرت المعانيير المستخرجة من الانسجة العضوية وقد وجد الاكثار اليها العلامة برونسكار بعد ما وقف على طريقة الطب الاهلي القديم المستعملة الى الآن في الشرق الاقصى

وفي معالجة الاعضاء المربضة باعضاء شتى سلبية واثارت التجارب خواصر العلماء واندهشوا الى تكرار التجارب وتوسموا بالاجتاث واستدوا في الاكتشافات وغالوا بالسواند الناجمة من دقة الطريقة حتى لم يبق عنصر الأجل له علاجا من عضو مشير ولكن لم يثبت لسوء الحظ من كل ذلك الى الآن سوى الفائدة من استعمال الثيرويدين ابي خلاصة الغدة السرقية وتحقق اخيراً نمل الادونالين (وهو خلاصة الغنظلة فوق الكلية) بتوقيف نزف الدم وقيت البراتي تحت البحث والتحقيق. ولهذا اتف عند هذا الحد من البحث في المادة الطبية لوقوفها في عهد هذا الحد من التصور في شفاء الامراض واستطرد الى فرع آخر من الطب كان من وفرة الجول فيو والتعمق في البحث عن جليل فائدة العلم وكبير خدمة للانسانية اعني فيو الباثولوجي لانه من الاهمية بكان وهو المرسل عليه في الباثولوجيا والجراحة بل هو اساس الطب ودعامته الوطيدة. وارى انه النوع الوحيد من الطب الذي تقدم نقداً ما بيننا وخطا خطوة كبرى وتأسس البحث فيو على اسس متينة وحقائق راسخة واذا قام الجدل في مشلة من مسائله كان سلاحه الانتحان وبرهانه التجربة ونتيجة الحقيقة فيو واثوارها سارت بقية النروع ولا سيما الجراحة وتقدمت التقدم الباهر ولهذا خصصت له في هذه المقالة نصيباً وافراً من الكلام لاني لو تبعت تاريخ الطب من نصف قرن الى الآن واتيت على شرح تفصيلي وبيان تقدمه من باب وتأخيره من آخر ونجاحه من وجه وشله من آخر لانع المجال كثيراً وقضي علي ان اكتب اثبات من الصفحات واتابع ذلك لا اوفي الموضوع حقاً ولا ازيد المطالع توسعاً في العلم فحصر البحث على ما تقدم فيو من العدم ما يشع بالتصور

كان الطب في بداية القرن التاسع عشر لا يزال في المهد وكان التقليد فيو غالباً على التقيد والتشهير. واما في النصف الثاني منه فدرج من المهد وخطا خطوة كبرى الى الاسام ولاسيما في الكيمياء كما تقدم وبدأ الطبيب يحسن المراقبة ويمس الروية ويدقق البحث حتى اوصل عملة الى مجدد واضح في الثلث الاخير منه على ما هو عليه الآن من اتساع المعرفة فيو والحل المشاكل التي استحال على المتقدمين حلها بعبلاء القامض منها وبكشف الاسرار الكامنة في الطبيعة

لما كنت اتلقى العلم في المدرسة كان اول المهد باكتشاف البكتيريا وبدحض مزاعم القائلين بالتولد الذاتي وكنا تلامذة واساتذة تائبين في فضاء لاقرار له من شك ويقين وكنا نحقق البحث في هذه المسائل بشوق ولذة وتنتشر نتيجة الجدل بفارغ الصبر. ففي هذا المهد توصل باستور الى معرفة سبب الاختار وتحقق انه يحدث من تولد احياء متاعية في الصخر في

احوال وشروط معلومة وكان الجدال حيثئذ على التولد الذاتي قائماً على قدم وساق ولم ينكشف سره الا باستورنافة نصرة فكانت مباحثه واثباتاته واكتشافاته تأثير في العلم وفعل على الانسانية على اني رأيت قبل الخوض في تاريخ هذه الاكتشافات ان امين نقل المتقدمين واشرح كيفية معرفتهم بالمكروب لتري كيف تدرج البحث فيه وانفضى الى الحصول على اكتشافه كان الاطباء في ذلك العهد غايبة في حسن الروية وبعد الفري وكانوا يقولون بالمكروب وهم لا يعرفونه ويدرسون فعله وهم لا يرونه ويشقون عواقبه وهم يجهلون مصادره فالامراض التي يسميها اطباء هذه الايام امراضاً ميكروبية كانوا يسمونها هم امراضاً خميرية ويعترفون مع ذلك بان هذه التسمية ليست صحيحة ولكنهم اصطالحوا عليها من قبيل التشبيل لانه لا بد من اسم عمومي يطلق على جنس من الامراض تشترك افراده في صفات شتى فاطلقوا هذه التسمية على الامراض الوبائية الوافدة والمسترطنة وعلى الامراض الحادثة عن فساد حيواني او نباتي او الناتجة عن سادق خصومية تنتقل اما باللس او بواسطة اخرى ككلاء وهواء او الحيوانات المريضة وعلى الامراض الناتجة من سوء التغذية او فسادها والامراض التي تولد من حروب نبات حلية تعيش في اقسام مختلفة من الجسم وعليه قسموا الامراض الخميرية الى اربعة اقسام الاول الحيات والامراض الهدية كالتيغويد والنيفوس والجلدي والطاعون والهواء الاصفر والنزلة الرباوية وغيرها من الامراض التي من طبيعتها ان تعترى كثيرين في وقت واحد والثاني داء الزهري والثالث الاسكربوط والنيفوس الشككت والزرع الجرب وديدان انتانة الهضمية وبسوء معرخب هذه على المراقبة والرؤية اذ وجدوا انها تنتشر في حال هوائها فاسد او فيها اسباب اخرى غير موافقة للصحة كالمستضات المائية او مواد انكسف ومجارها او الاوساخ والانتذار الحيوانية والنباتية . وقد عرفوا ايضا ان في قسم كبير من هذه الامراض يتغير الدم عن حالته الطبيعية وزعم البعض ان الدم هو مجلس الامراض الحادثة عن مواد معدية آية الاصل مولا تولدت داخل الجسم او خارجة لان هذه المواد من شأنها ان تزيد في الدم كمية تلك المواد الآلية فانضح لم مما تقدم ان اسباب الامراض مسموم خصومية اذا دخلت الجسم استطرت الى الدم وفلت ضل الخيرة في العجين اي تكاثرت بالتوالد والتبذير وظهرت انها بالاعراض خاصة ولكل مرض اعراضه اخصومية فاعراض الحمى ارتفاع الحرارة وسرعة النبض وانم الراس وريح اللسان وضعف القاطبة وهبوط القوى وغيرها من الاعراض المعروفة . واعراض الهواء الاصفر التي والاسهال وضور العينين والتهور وهلم جرا . وقد تحققتوا ان نكل علق من طلل الامراض الخميرية مادة او سماً خصوصياً يحدث اعراض علقه ولا يحدث اعراض علة

اخرى فكأنه لا اشتباه بين اعراض الجدري والزهري واندراد والهواء الاصفر فلا سبب  
للرب ان نكلم من هذه الطل مادة خصوية في اصلها وتولد وسيرها وكونها واعراضها  
ولم يخف عنهم ايضاً ان قليلاً من الدم المرضي يساوي ذرةً يحدث مرضاً من نوعه ومنه ظهر  
كان فيه من اسم ما يكتفي لاحابة مثبات بل الوف آخرين كالجدي مثلاً فان ما دون حبة  
الزلزل يولدها تظهر مثبات من البثور وفي كل واحدة منها صديد يكتفي لتتبع كثيرين والامادة  
المرضية في طلل مصاب بالشفقة تكتفي لان تعدي مدينة بكاملها وعرفوا ايضاً اعداد الجسم  
لتبول هذه السموم بواسطة امراض اخرى من دم آخر فالنفسه مثلاً تصاب بجسمي النفس  
من مجرد دخول طبيب الى غرفتها كان يعالج مريضاً بالحمراء او يمرض آخر عليه او من دخول  
تليد كان في دار الشرح

وقد عرفوا مصدر الامراض الميضية وقالوا انها تتولد من انبيات الابخرة الفاسدة من  
عن مطوح مستنقعات فيها مواد حيوانية ونباتية في حالة الاخلال وانسداد تصد في الهواء  
وتحمل بزوداً تدخل الزئمة بالاستشاق وتسير في الدم حيث تلتقي بيوضها وتوالده وتكثر  
تحدث فيه تغييراً يعرفه عن حالته الصحية فيظهر اذ ذلك نمل اسم المرضي الذي كمن الى  
ذاك الحين وهذا كما لا يخفى هو نفس الكلام بالمرروب وكان استاذنا الدكتور فاندريك يقول  
ان تبرغوث يرغوفاً بلهه ولبرغوث البرغوث يرغوفاً بلهه

وفي هذا التدرج كفاية لبيان فضل اولئك الافاضل الذين وفروا البحث حقاً وعرفوا الحقائق  
بالاستنتاج من المقدمات المنطقية التي اشتروا وسهروا السبل الى اكتشاف الكروبات وحل  
كثير من الرموز الغامضة الى ذلك العهد لانهم عرفوا كثيراً من طبيائهم بدون ان يكتشفوها  
كما يظهر مما سبق بيانه وفي على من درس على هؤلاء الجهابذة وتحمدي علمهم واخذ مأخذهم  
ان يحدو حدوهم وان يصحح بحثه في معرفة ماهية هذه المادة السمية وبدرى طبيعتها ويعين  
صنها وهذا ما جرى عليه عمالوناً متأخرون ضرروا الكروبات ولا تزال تزداد معرفتهم بها  
وسوف يعرف نكل مرض مكروبة الخاص ويتسع المجال لاكتشاف الدواء الثاني له لانه  
كما يسر للعالم كشف معلوم انكب وصل المتغير بها ومن ثم شفاء هذين المرضين الثريسين  
فلا يتحمل ان يشمل ذلك بنية الامراض الكروية كاسل وغيره

اما اكتشاف الكروب فهذه السبل التي نوع خصومي مسألة التولد الذاتي التي كان  
الجدال فيها دائماً على قدم وساق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما سبقت الاشارة  
اليه وسأبين ذلك بقدر ما يستمع للمقام